

الإنسان كمشروع فلسفي: قراءة في فكر عبد الله شريط

قورشال فريال سولاف¹، قروج بولفعة²

1- العنوان المهني، f-gourchal@cu-aflou.edu.dz

2- العنوان المهني، b.guerroudj@cu-aflou.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2025/06/18؛ تاريخ القبول: 2025/08/20

**Title – The human as a philosophical project :A reading of
Abdullah Sheriat's Thought**
A.Gourchal, B. Guerroudje

Abstract:

This study aims to deconstruct the problem of building the Algerian individual as a central challenge in the process of shaping the national state after independence. This period gave rise to a new crisis in human development. In this context, Abdullah Sharit offered a distinct philosophical approach: he did not merely reproduce reformist discourses but rather philosophized the issue of the human being, turning it into a philosophical project based on questioning, awareness, and agency.

Keywords: Abdallah Cheriet; Human Development; Agency Renaissance; Nation.

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك إشكالية بناء الإنسان الجزائري بوصفها رهاناً محورياً في مسار تشكل الدولة الوطنية بعد الاستقلال، حيث افرزت هذه الفترة أزمة جديدة في بناء الإنسان وفي هذا السياق قدم عبد الله شريط مقاربة فلسفية مغايرة، إذ لم يكتف بإعادة إنتاج الخطابات الإصلاحية بل عمل على تفلسف مسألة الإنسان وجعل منها مشروعاً فلسفياً قائماً على السؤال والوعي والفاعلية.

الكلمات المفتاحية: عبد الله شريط؛ بناء الإنسان ؛ الفاعلية؛ النهضة الوطن .

مقدمة:

شكلت مسألة بناء الإنسان محورياً أساسياً في فكر رواد النهضة والإصلاح في الجزائر خاصة في ظل ما خلفه الاستعمار من محاولات طمس للذات ومحو للهوية، ومع الاستقلال برزت الحاجة الملحة لإعادة تشكيل الإنسان الجزائري لا ككائن محرر سياسياً فقط، بل كذات فاعلة ومندمجة في مشروع حضاري جديد.

وقد عالج عدد من المفكرين هذه الإشكالية، مثل الأمير عبد القادر الذي أسس لنموذج الإنسان المقاوم، وابن باديس الذي راهن على إصلاح الإنسان المسلم، ومالك بن نبي الذي وسع النظرة لتأخذ بعداً حضارياً شاملاً.

غير أن المرحلة التي تلت الاستقلال كشفت عن أزمة جديدة في مشروع بناء الإنسان تجلت في الانتقال من مقاومة الاستعمار إلى أزمة التبعية، في هذا السياق برز عبد الله شريط كمفكر أعاد طرح المسألة من زاوية مختلفة مستبدلاً المقاربة الإصلاحية التقليدية برؤية فلسفية أعمق ترى في الإنسان مشروعاً فلسفياً خالصاً.

تحدد الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في السؤال التالي:

هل استطاع عبد الله شريط أن يؤسس لرؤية فلسفية تربوية تجعل من بناء الإنسان الفاعل قاعدة لأي مشروع نهضوي وطني؟ وهل تميزت هذه الرؤية عن الأطروحات الإصلاحية السابقة، بحيث تقدم إمكانات فكرية يمكن استثمارها اليوم في إعادة بناء الإنسان الجزائري لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل؟

وينبثق عن هذا السؤال المركزي جملة من التساؤلات الفرعية:

- كيف تجلّى مفهوم "بناء الإنسان" في التجارب الإصلاحية السابقة (الأمير عبد القادر، ابن باديس، مالك بن نبي)؟
- ما هي الملامح الفلسفية والتربوية التي ميزت رؤية عبد الله شريط في تناول قضية الإنسان بعد الاستقلال؟

● هل استطاع شريط أن يتجاوز حدود الطرح الإصلاحي التقليدي نحو تأسيس مشروع فلسفي تربوي حديث؟

● هل ما تزال هذه الرؤية صالحة وراهنه لمواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجزائر اليوم؟

الفرضيات: إن الإجابة عن هذه الإشكالية تقتضي الانطلاق من فرضيات أولية يمكن أن توجه البحث، وتتيح اختبار مدى أصالة المقاربة التي قدمها عبد الله شريط وهي كالتالي :

1. الفرضية الأولى: تجاوز عبد الله شريط الأطروحات الإصلاحية الكلاسيكية التي ركزت على الهوية والعقيدة، من خلال بلورة مشروع فلسفي تربوي يهدف إلى تفكيك البنية الذهنية الموروثة عن الاستعمار وإعادة تشكيل الذات المفكرة.
2. الفرضية الثانية: إن بناء الإنسان الفاعل عند شريط ليس مجرد خيار ثقافي أو أخلاقي، بل هو شرط بنيوي لتحقيق نهضة وطنية حقيقية قادرة على مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل.

المنهج:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، من خلال تحليل نصوص عبد الله شريط الفكرية ومقارنتها بالسياقات التاريخية والفكرية السابقة، قصد إبراز ملامح تميز مشروعه الفلسفي والتربوي وتقييم مدى راهنيته في بناء الإنسان الجزائري المعاصر.

ومن أجل معالجة هذه الإشكالية، تعتمد الدراسة الخطة التالية:

- عرض تاريخي لمفهوم بناء الإنسان في الفكر الجزائري من خلال النماذج المؤسسة: الأمير عبد القادر، عبد الحميد بن باديس، ومالك بن نبي.
- تحليل السياق ما بعد الاستقلال، والوقوف عند العوامل التي ساهمت في أزمة الإنسان الجزائري، خاصة فشل مشاريع الهوية والتنمية الوطنية.
- دراسة فلسفة عبد الله شريط في بناء الإنسان، عبر إبراز أسسه الفلسفية والتربوية، وتمييزه بين التلقين والتفلسف ونقده للبنية الذهنية الموروثة.
- تقييم راهنية فكر شريط وإمكانات استثماره في صياغة سياسات تربوية وثقافية معاصرة قادرة على الإسهام في إعادة بناء الإنسان الجزائري اليوم.

مفاهيم أساسية:

إن فهم موضوع "الإنسان كمشروع فلسفي عند عبد الله شريط" يقتضي أولاً تفكيك بعض المفاهيم المفتاحية التي يقوم عليها البناء التحليلي للمقال، ذلك لأن كل مفهوم من هذه المفاهيم لا يستخدم هنا

بمعناه اللغوي المجرد، بل يحيل إلى حمولة فلسفية وتاريخية خاصة تجعل من الضروري تحديده بدقة، ومن أبرز هذه المفاهيم:

الإنسان الفاعل: لفهم فاعلية الإنسان كما يتصورها عبد الله شريط لا بد من العودة إلى البعد الفلسفي لمفهوم الإنسان نفسه.

فالإنسان في الفلسفة لا يُختزل في كونه كائنًا حيًا يسعى لتلبية حاجاته البيولوجية، مثل بقية الكائنات بل هو كائن يتجاوز الضرورة الطبيعية ليصنع معنى وجوده، و من هنا تبرز النزعة الإنسانية .

النزعة الإنسانية: التي مثلت حركة فكرية تتميز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشري وجعله جديرًا، ذا قيمة . (لالاند، 2001، صفحة 566)

إن قيمة الإنسان في هذا المنظور لا تستمد من انتمائه البيولوجي أو الاجتماعي فحسب، بل من قدرته على الفعل الحر، أي على التفكير النقدي والإبداعي الذي يفتح أفق النهضة.

وفي هذا السياق، يصبح الإنسان "فاعلاً" حين يعي ذاته كقوة معيارية في التاريخ، أي باعتباره مقياساً للفاعلية والإنتاج وفق المبدأ الذي صاغه فيتاغورس: "الإنسان مقياس جميع الأشياء".

فمقدار الفاعلية التي يحققها الإنسان هو الذي يحدد موقعه الحضاري هل هو منتج وصانع للنهضة، أم عاجز يكرس التخلف والانحطاط. إذن الإنسان الفاعل هو الذي يحول إمكاناته الفكرية والعملية إلى

مشروع حضاري ملموس، ويجعل من ذاته قوة تغييرية تعيد تشكيل الواقع.

وهنا ينفتح الحديث على مفهوم آخر مرتبط أشد الارتباط، وهو النهضة بوصفها التجسيد التاريخي لهذه الفاعلية.

النهضة: النهضة في بعدها اللغوي تقابل الميلاد من جديد، فهي تعني القيام بعد القعود أو الإحياء بعد الموت، أي استعادة القوة بعد حالة من السكون أو الانكسار.

لقد ارتبط مفهوم النهضة في الفكر العربي الحديث بمصطلح "الإحياء"، الذي انطلق أولاً من بلاد الشام في بعده اللغوي والأدبي حيث سعى إلى إعادة الروح للغة العربية وإحياء التراث الشعري والبياني. (حفيان، 2009، صفحة 237)

ثم تطور لاحقاً في مصر ليأخذ بعداً أشمل فألى جانب الإصلاح اللغوي والأدبي برزت النهضة التنويرية، التي جمعت بين المطالب الإصلاحية في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وبين الدعوة إلى التفتح على الفكر الحديث. (حفيان، 2009، صفحة 237)

إن المعنى الذي نستحضره من مفهوم النهضة ليس مجرد إحياء أدبي أو لغوي كما كان في بداياتها، بل النهضة في بعدها الاقتصادي والسياسي، حيث يغدو الإنسان محور الفعل الحضاري.

وهذا البعد هو ما التقطه عبد الله شريط بذكاء، إذ رأى أن معضلة النظام الاقتصادي الاشتراكي في الجزائر لم تكن كامنة في طبيعة النظام ذاته بقدر ما كانت متجذرة في تخلف الإنسان وعدم قدرته على استيعاب مشروع اقتصادي جديد.

لذلك لم يتوقف عند نقد البعد الاقتصادي أو ظاهرة الاعتماد المفرط على الاستيراد، بل ربط كل ذلك بغياب الإنسان المنتج، الإنسان الفاعل.

ومن هنا تتضح أهمية فكر شريط الذي يجعل من بناء الإنسان الشرط الأول لنجاح أي نهضة سياسية أو اقتصادية، فالنهضة ليست مجرد برامج اقتصادية أو شعارات سياسية، وإنما هي مشروع حضاري يبدأ من إعادة تشكيل الإنسان ذاته.

بناء الإنسان في الجزائر: من البذرة إلى المشروع

تُعد مسألة "بناء الإنسان الجزائري" محورًا جوهريًا في تاريخ الفكر الإصلاحي والفلسفي بالجزائر، إذ لم تظهر مع الاستقلال فقط بل ارتسمت ملامحها تدريجيًا في سياق استعماري كشف عن أزمة مزدوجة: أزمة هوية وأزمة وعي.

فالمشروع التحرري لم يكن مقتصرًا على استرجاع الأرض بل ارتبط أولاً بتحرير الذات من الاستلاب وإعادة تأسيس كرامتها. ومن هنا برزت مشاريع فكرية متباينة تضع "الإنسان" في مركز الرهان الحضاري.

فالأمير عبد القادر لا يُقرأ فقط كقائد مقاومة مسلحة، بل كمنظرٍ مبكر لبناء وعي ديني وأخلاقي يحرر الإنسان من التبعية ويعيد إليه موقعه كفاعل في التاريخ، أما ابن باديس فقد رسخ هذا البعد من خلال جعل اللغة والعقل والدين أدوات لإعادة تشكيل الذات الجزائرية عبر التعليم، في حين أعاد مالك بن نبي صياغة الفكرة ضمن إطار حضاري، رابطاً النهضة بإعادة بناء القابلية الإنسانية للفاعلية التاريخية.

غير أن عبد الله شريط يمثل لحظة انعطاف فلسفي في هذا المسار، إذ تجاوز الخطاب الوعظي الإصلاحي ليمنح سؤال بناء الإنسان بعداً فلسفياً تحليلياً، حيث سعى إلى تفكيك شروط التوازن بين الأصالة والمعاصرة بوصفها معضلة وجودية تحدد إمكان تحقق الإنسان الجزائري الحديث.

الأمير الذي حرر الإنسان قبل الأرض:

أدرك الأمير عبد القادر أن الاستعمار لا يُواجه فقط بالسلاح بل بمشروع أعمق يقوم على بناء الإنسان الواعي بذاته ودوره في التاريخ. لذلك جعل من الإنسان محور مشروعه الإصلاحية، معتبراً أن معركة التحرر تنطلق من تحرير العقل قبل تحرير الأرض، ومن إعادة تشكيل الوعي قبل حشد القوة العسكرية.

هذا التصور يستند إلى فهم إسلامي راسخ للتوظيف الإنسانية حيث يُعرف الإنسان باعتباره "كائنًا مكرّمًا بخاصية المعرفة، مكلفًا بمهمة

الخلافة، مميّزًا بالعقل عن سائر المخلوقات". (زايدي، 2018، صفحة 254)

فالخلافة، في نظر الأمير ليست امتيازًا طبيعيًا بل تكليف معرفي وأخلاقي، ولا تتحقق إلا حين يتخلق الإنسان بأسماء الله وصفاته، وهو ما يلتقي مع التصور الصوفي-العرفاني لفكرة "الإنسان الكامل".

لقد برهن الأمير عبد القادر طيلة سبعة عشر عامًا من المقاومة، وما أعقبها من ثورات متفرقة على امتداد نصف قرن على قدرة المشروع الإنساني على توحيد الشعب وصياغة وعي جماعي في مواجهة قوة استعمارية مختلفة في كل مقوماتها وخصائصها (شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية، 1981، صفحة 52).

هنا تتجلى خصوصية فكره إذ لم يتعامل مع المقاومة بوصفها مواجهة عسكرية فحسب بل كبناء منهجي للإنسان، عبر التربية والتعليم والتكوين الفكري.

فهو يرى أن تحرير الأرض يظل ناقصًا إذا لم يسبقه تحرير العقول والنفوس، وأن الشرط الأساس لنجاح المقاومة يكمن في إعادة تأسيس الإنسان الجزائري كفاعل تاريخي حر.

يمكن القول إن الأمير عبد القادر لم يكن يعي مشروعه في إطار فلسفي صريح، ولم يتعامل مع مفاهيم "بناء الإنسان" أو "النهضة" بالمعنى الأكاديمي المنهجي، بل صاغ رؤيته بلغة شاعرية مستمدة من التراث الديني والبلاغة العربية.

فإن ما جسده عملياً يكشف عن مضمون فلسفي سابق على تنظيراته، إذ ربط بين وحدة المجتمع وبناء وعي الإنسان كشرط لنجاح أي ثورة غير أن حدود مشروعه تظل واضحة، فلقد حصر عملية التربية في بعدها الديني التقليدي الأمر الذي كان ملائماً لزمّنه في مواجهة الاستعمار لكنه يبدو غير كافٍ لمتطلبات عصرنا الحالي الذي يفرض أشكالاً جديدة من المعرفة والوعي النقدي.

لذلك فإن القيمة الفلسفية لفكره تكمن لا في اكتماله، بل في كونه بذرة وإرهاصاً أولياً لمشروع أوسع لبناء الإنسان، مشروع يتطلب اليوم تجاوز الأفق الوعظي إلى رؤية نقدية وفلسفية تستوعب تحديات الحداثة

ابن باديس وصناعة المواطن الجزائري:

إذا كان الأمير عبد القادر قد دشن فكرة أن التحرر يبدأ من بناء الإنسان قبل تحرير الأرض، فإن عبد الحميد بن باديس أعاد صياغة هذا المبدأ في إطار إصلاحي جديد، عبر ما يمكن وصفه بـ "الثورة الهادئة" على الجهل والاستلاب.

فقد أدرك أن الاستعمار لم يسلب الجزائريين أرضهم فقط بل استهدف وعيهم ولغتهم ودينهم، ومن ثم جعل من استعادة الهوية شرطاً أولياً لأي تحرر حقيقي.

يرى عبد الله شريط أن مشروع ابن باديس الإصلاح، المعبر عنه بشعار "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، لم يكن مجرد شعار بل شكل بيان تأسيسي لمشروع حضاري يرمي إلى إعادة بناء الإنسان الجزائري من الداخل. (شريط، المشكلة الأيديولوجية و قضايا التنمية، 1981، صفحة 55)

ابن باديس لم يكتف بالخطاب، بل ترجمه إلى مؤسسات مدارس حرة، صحف إصلاحية، ودعوة متواصلة لإحياء اللغة والدين والعقل معاً، و بهذا جمع بين تربية الوجدان وتنمية التفكير النقدي مؤكداً أن الإنسان هو الحصن الأول في مواجهة الاستعمار والتغريب.

ومع ذلك فإن المشروع الباديسي رغم طابعه الشمولي في زمنه، ظل محدوداً بحدود المرجعية الدينية والتعليمية التقليدية، ما يجعله غير كافٍ لمواجهة تعقيدات الحداثة المعاصرة.

هنا تحديداً يظهر دور عبد الله شريط، إذ استلهم البعد الإنساني في الإصلاح الباديسي لكنه أعاد صياغته فلسفياً ناقلاً المشروع من منطق الإصلاح التربوي إلى منطق التفلسف النقدي، حيث لا يُكتفى بإحياء الهوية بل يُطرح سؤال التوازن بين الأصالة والانفتاح باعتباره إشكالية فلسفية وجودية.

لقد أدرك باديس أن الاستعمار يفرغ الإنسان من ذاته حين يسلب لغته ودينه وعقله، ولذلك جعل من استعادتها أساساً لكل مشروع نهضوي.

غير أن المشروع الباديسي على الرغم من قوته ورمزيته ظل مشدوداً إلى أفق إصلاحي محدود بمرجعياته الدينية التقليدية.

بحيث لا يفهم على أنه نموذج مكتمل بل كبذرة فلسفية أولى تُلزمنا بالانتقال من الإصلاح إلى التفلسف ومن الدفاع عن الهوية إلى مساءلة شروط تجددتها وانفتاحها.

الإنسان كهم فلسفي "الخطوة التي سبقت شريط":

إذا كان الأمير عبد القادر قد بلور صورة الإنسان المقاوم، وابن باديس قد جسّد الإنسان المصلح، فإن مالك بن نبي نقل سؤال الإنسان إلى مستوى أوسع من معركة التحرر إلى أفق الحضارة.

لم يعد الإنسان مجرد أداة في النهضة، بل أصبح هو المشروع نفسه، بوصفه الشرط الأول لقيام أي حضارة.

فمشروعه الفكري انبنى على ثلاثية: الإنسان، التراب، والوقت لكنه أعطى الأسبقية للإنسان عن وعي، لأن الموارد الطبيعية بلا فاعل تبقى معطلة، والزمن بلا إدراك يضيع بلا أثر.

بهذا التصور جعل بن نبي من الإنسان المحرك الأول للتاريخ والمفتاح لأي مشروع حضاري.

هذا التركيز على الإنسان أتاح له أن يطرح إشكاليات جديدة مثل "القابلية للاستعمار"، التي تُظهر أن الاستعمار ليس فعلاً خارجياً فحسب بل نتيجة فراغ داخلي في بنية الوعي والعلاقات الاجتماعية.

هنا يتبدى البعد الفلسفي في فكره إذ يعيد النظر في علاقة الذات بالعالم، وفي قابلية الشعوب لإعادة إنتاج تبعيتها ما لم تُعد بناء ذاتها.

ولعل استشهاده بالآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]. (نبي، شروط النهضة ، 2018 ، صفحة 27)

يكشف عن تأصيل فلسفي-قرآني يجعل التغيير الحضاري عملية تبدأ من الداخل، لا من الخارج.

ويُجسد مالك بن نبي هذا التصور في مثال نبوي بسيط لكنه عميق: قصة الرجل الفقير الذي لم يمنحه النبي صدقة آنية، بل دفعه للعمل والتحطيط حتى يأكل من كسب يده. (نبي، المسلم في عالم الإقتصاد ، 2018 ، صفحة 87)

هذا الموقف يُقرأ عند بن نبي كرمز للانتقال من "الإنسان المستهلك" إلى "الإنسان المنتج"، الذي يشكل نواة أي مشروع نهضوي حقيقي.

ومع ذلك يبقى فكر بن نبي محكوماً بحدود زمنه، فهو ينطلق من منطق إصلاحي متأثر بالبعد الأخلاقي والديني، ما يجعله يؤسس لمفاهيم فلسفية دون أن يطورها إلى نسق فلسفي متكامل.

هنا بالضبط تتضح قيمة عبد الله شريط، الذي ورث هذا الهم الحضاري لكنه نقله إلى أفق جديد: من الخطاب الإصلاحي إلى التفلسف النقدي، ومن بيان النهضة إلى تفكيك الشروط الفلسفية لبناء الإنسان.

من خلال تتبع مسار فكرة "بناء الإنسان" في الفكر الجزائري نلمس تطوراً فلسفياً متدرجاً، فقد انطلق الأمير عبد القادر من تصور للإنسان المقاوم، فيما نقل ابن باديس هذا الهم إلى مستوى إصلاحي أكثر تنظيماً، عبر مشروع شامل لإحياء اللغة والدين والعقل، غير أن مالك بن نبي منح هذه الفكرة أفقاً جديداً حين ربطها بالسؤال الحضاري وشرطها الأول، وبهذا أسس لمفهوم "الإنسان المنتج" بوصفه نواة كل مشروع حضاري.

هذه المشاريع مع اختلاف عمقها، بقيت تدور في إطار إصلاحي أكثر منه فلسفي. وهو ما يجعل عبد الله شريط يمثل لحظة انعطاف نوعية، حيث استلهم هذا التراث الإصلاحي و تجاوزه نحو تفلسف نقدي، نقل سؤال بناء الإنسان من دائرة الوعظ والإصلاح إلى دائرة التحليل الفلسفي، حيث تصبح إشكالية التوازن بين الأصالة والمعاصرة ليست مجرد شعار، بل قضية وجودية تحدد مصير الإنسان الجزائري الحديث.

اكتمال مشروع الإنسان في الفكر الجزائري:

إن الحديث عن اكتمال مشروع الإنسان في الفكر الجزائري لا يُختزل في تتبع فكرة مجردة، بل هو رصد لمسار فلسفي واجتماعي متكامل انطلق من معركة تثبيت الهوية، مروراً بتحليل الذات وقدرتها على الحضارة،

وصولاً إلى تأسيس وعي فلسفي يشترط بناء الإنسان الحر في سياق جزائري خالص.

لم يكن انشغال عبد الله شريط بقضية الإنسان ولید تأمل نظري معزول، بل جاء كرد مباشر على إحدى أخطر ركائز المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر من خلال نفي إنسانية الجزائري والتشكيك في قابليته للحضارة.

لقد أدرك شريط مبكراً أن الاستعمار لم يكن مجرد احتلال للأرض، بل كان بالأساس هدمًا ممنهجًا لصورة الإنسان الجزائري في الوعي الأوروبي والعالمي، حيث صُور الجزائري ككائن متعصب، عنيف، غير عقلائي، وغير مؤهل للحداثة أو للإسهام في مشروع حضاري. (شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية، 1981، صفحة 52)

غير أن مرحلة ما بعد الاستعمار بدت أكثر تعقيداً، إذ وجدت الدولة الجزائرية نفسها فجأة أمام مهمة بناء مجتمع ودولة بعد قرن طويل من المقاومة والمجاهدة.

وقد اختارت السلطة حينها الاشتراكية كخيار اقتصادي واجتماعي يُفترض أن يحقق العدالة والتنمية، غير أن شريط طرح سؤالاً جوهرياً: كيف يمكن لدولة يغرق شعبها في الأمية أن تنجح في إنجاز مشروع

/اشتراكي؟ فالإشتراكية ليست شعاراً يُرفع بل مشروعاً يُبنى بإنسان جديد قادر على استيعاب فلسفتها وممارستها.

فالإنسان الأمي لا يتبنى الاشتراكية، وإذا تبناها مجتمع غير متعلم، فإنها تتحول إلى مشروع يهدم بيد ما يبنيه بالأخرى (شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية، 1981، صفحة 62)

من هنا انفتح شريط على إشكالية أعمق: بأي نمط من التكوين نؤسس لهذا الإنسان؟ هل نعلمه أولاً ثم نتيح له تنمية محيطه، أم نبداً من المحيط ذاته؟

وقد خلص إلى أن التنمية لا يمكن أن تُفرض من الأعلى ولا أن تُستورد من الخارج، بل هي رهينة بتنمية الإنسان ذاته.

وفي هذا السياق استشهد بالمثل الصيني القائل: "إذا أعطيت سمكة لرجل فقير فإنك تعيشه ليلة، وإذا علمته كيف يصطاد فقد عيشته كل ليلة". (شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية، 1981، صفحة 99)

و بذلك يرفض أن يعيش الإنسان الجزائري من أجل البقاء فقط، بل يدعو إلى إنسان يصنع الحياة بوعيه ومهاراته ومشاركته الفاعلة في صناعة مصيره ومصير مجتمعه.

ولعل هذا الموقف يجد جذوره في تجربة الثورة التحريرية، حيث كان بناء الإنسان مقدماً على السلاح، إذ جُند الرجال وتركوا يتسلحون بأنفسهم في إطار فلسفة الاعتماد على الذات.

غير أن ما بعد الاستقلال شهد انقلاباً في الأولويات: من تقديس الإنسان إلى تقديس الآلة، ثم من اعتبار السلاح أهم من الجندي إلى اعتبار الإنسان الذي يُدير الآلة أهم من تكوين الإنسان ذاته، وهو ما مثل انحرافاً خطيراً عن منطق الثورة. (شريط، نظرية حول سياسة التعلبم و التعريب-الأعمال الكاملة-المجلد الثاني ، 2009، صفحة 89)

ولذلك، لم يكتف شريط بالتشخيص، بل قدم الحل المتمثل في العودة إلى الإنسان باعتباره نقطة الانطلاق لكل نهضة حقيقية.

ففي كتابه *المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية* يقول: "إن شراء الحضارة من الخارج أمر سهل لكنه أيضاً سهل الزوال، إن التنمية التي ترسخ في المجتمع وتتجذر فيه وتنمو هي تلك التي يغرسها الإنسان بيده، إن التنمية الحقيقية هي نقل المعرفة لا نقل المصانع". (شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية، 1981، صفحة 102)

وعليه، يؤكد شريط أنّ التنمية في الجزائر ليست مستحيلة، فهي تملك من الموارد الطبيعية ما يكفي لبناء صناعات قوية، شرط أن يُستثمر في الإنسان أولاً، لأنه الفاعل الحقيقي للنهضة. (شريط، مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الإجتماعي-الأعمال الكاملة-المجلد 4، 2009، صفحة 142)

وبناءً عليه، تقوم نظريته على ركيزتين مترابطتين: أولوية بناء الإنسان وإعطائه قيمته، ثم استثمار الثروة الوطنية في إطار مشروع ذاتي.

وتكتسب هذه الرؤية راهنتها اليوم في ظل التحولات العالمية والدعوات إلى مقاطعة المنتجات الغربية الملوثة بدماء الأبرياء، حيث يمكن استلهم أطروحة شريط كخيار عملي للتحرر من التبعية، يقوم على بناء إنسان منتج يحرك الاقتصاد الوطني من داخل نسيجه الاجتماعي والتقني.

الخاتمة:

لقد كشف المسار الفكري الممتد من الأمير عبد القادر إلى عبد الله شريط أن مسألة بناء الإنسان لم تكن مجرد خطاب أخلاقي أو تنظير إصلاحي، بل كانت إشكالية فلسفية حقيقية تمثل الشرط الأول لأي مشروع نهضوي. فرغم تنوع المرجعيات بين الإصلاح الديني والتأمل الفلسفي، ظل الإنسان هو المحور الجامع الذي يختبر من خلاله معنى النهضة وجدواها.

وتدل تجربة عبد الله شريط على أن إعادة بناء الوطن لا يمكن أن تبدأ من هياكل السياسة أو من حسابات الاقتصاد وحدها، بل من إعادة تكوين الذات العاقلة والفاعلة، لأن كل مشروع تنموي أو سياسي يفقد معناه إذا كان الإنسان نفسه مهمشاً أو غائباً عن دائرة الفعل. فالإنسان ليس مجرد وسيلة للبناء، بل هو البنية التحتية الحقيقية التي تنهض عليها كل النهضة.

من هنا لا تُطرح الخاتمة كسؤال وصفي، بل كرهان فلسفي- حضاري مفتوح: كيف يمكن إعادة تشكيل الذات الجزائرية بما يجعلها قادرة على إنتاج فعلها التاريخي؟ إن هذا السؤال لا يخص الماضي فحسب،

بل يوجه المستقبل أيضاً، ويدعو الباحثين إلى تجاوز المقاربات الجزئية، والنظر إلى الإنسان باعتباره مشروعاً مستمراً لا يكتمل أبداً، مشروعاً تتجدد ضرورته في كل مرحلة، لأنه الرهان الذي يتوقف عليه مصير الجزائر في حاضرها وفي آفاقها القادمة.

1 قائمة المراجع :

1. حفيان م. (2009). مفهوم النهضة "السؤال و تاريخية الوعي". مجلة متون.
2. زايدي، ا. (2018). الإنسان الكامل عند الأمير عبد القادر الجزائري. مجلة المعيار .
3. شريط، ع. ا. (1981). المشكلة الأيديولوجية و قضايا التنمية. الجزائر :ديوان a. المطبوعات الجزائرية .
4. شريط، ع. ا. (2009). مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي -الأعمال الكاملة- المجلد 4. الجزائر : منشورات السهل .
5. شريط، ع. ا. (2009). نظرية حول سياسة التعليم و التعريب -الأعمال الكاملة- المجلد الثاني. الجزائر : منشورات السهل .
6. لالاند، ا. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. بيروت باريس: منشورات عويدات .
7. نبي م. ب. (2018). المسلم في عالم الاقتصاد. دمشق : دار الفكر .
8. نبي م. ب. (2018). شروط النهضة. دمشق : دار الفكر .

ISSN: 1112- 7872

E-ISSN: 2600-6162

مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ

مجلة: 21 عدد: 01 شهر نوفمبر السنة 2025

ص.ص. 197- 217

العنوان: الإنسان كمشروع فلسفي: قراءة في فكر عبد
الله شريط

Almawaqif

Vol. 21 N°: 01 Mois: 11 Année 2025

217
